رسائل تاريخ الصحابة
الكتاب السادس

الزبير بن العوام

تأليف

صابر عبده ابراهيم

الطبعة الثانية

١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة ـ بغداد تلفون ٥٩٤٥

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 20 / ذو القعدة / 1444 هـ
الموافق 09 / 06 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

رسائل تاريخ الصحابة
الكتاب السادس

الزبير بن العوام

تأليف

صابر عبد ابراهيم

م. سرمد حاتم شكر

الطبعة الثانية

١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة ـ بغداد تلفون ٥٩٤٥

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الدُخان

نادى ربُّ العزة جبريل الأمين، وأوحى اليه ما أوحى، وما هى إلا لحظات حتى نشر جبريل أجنحته ! ثم نزل مسرعا من السماء ، فسد الأفق وملأ الفضاء وهبط على رسول الله محمد ﷺ النبى المختـــار والرسول المصطفى الذى اختاره الله ليرسم للناس طريق الحياة الحيـّـة ، حياة العز والكمال ، حياة الانسانية والمروءة حياة الحق والعدل والمساواة ، الحياة التى تشعر الناس أنهم ناس لم يخلقوا عبثاً ، ولم يوجدوا على الأرض لهواً ولعباً لا رسالة لهم يؤدونها ولا غاية لهم يعملون من أجلها ولا أهداف لهم يجاهدون فى سبيلها ، شأنهم شأن

البهائم والحيوانات التى تغدوا وتروح لا رسالة لها ولا هدف وكأن لسان حالها يقول :

إنما الدنيا طعام وشــراب ومنام
فإذا فاتك هـذا فعلى الدنيا السلام

وهبط جبريل على رسول الله الامين وأوحى إليه من آيات الله والحـكمة فتفصَّـد العرق من جبين رسول الله ـ كما كانت عادته حين ينزل الوحى عليه حتى إذا انتهى جبريل من مهمته رفرف بجناحيه صاعداً فى السماء ليستقر فى مكانه المعلوم .

وغمغم رسول الله ﷺ بالآية التى أنزلها اليه جبريل « وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وهز رسول الله ﷺ رأسه ، إنه الأمر بالجهاد . . . وأى جهاد . . ليته كان حربا أو ضربا إذاً لأمسك بسيفه ونازل الناس حتى يقتلهم

أو يقتلوه ، فما أسهل هذا عنده وما أهونه عليه ولكنه جهاد قلوب هى كالحجارة أو أشد قسوة . عشَّش الضلال فيها وأفرخ واتخذها سكناً له وأقسم ألا يخرج منها إلا بحرب ضروس .

إنه جهاد عقائد باطلة احتلت قلوب الناس من زمن بعيد فأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها ولا ينفصل عنها .

إنه جهاد إيمان بآلهة جوفاء نشأ القوم على حبها مذ تفتحت عيونهم على الحياة .

إنها مهمة شاقة وقول ثقيل .

وليس معه من أدوات الجهاد إلا إيمان ولسان . .

. . وفى هذين الكفاية كل الكفاية ما دام معه ربه يرقبه ولا ينساه . .

وانطلق محمد عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فى سبيل دعوته معتمداً على ربه متوكلا على مولاه .

* * *

وأقبل الليل كما يقبل كل يوم ، فنشر رداءه الأسود على وجه النهار ، ثم مر الليل وئيداً وئيداً حتى أشرق الفجر وجاء الصبح من بعده أبيض مشرقا وسمع الناس رجلا واقفا بأعلى جبل الصفا بمكة ينادى :

ـ واصباحاه . . واصباحاه . . يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر يا بنى لُـؤَى . . . وتصايح الناس ، إن محمداً ينادى بأعلى الصفا ، فأقبلوا اليـه من كل صوب وحدب ، حتى إذا اكتمل عقد الناس ـ صاح فيهم ..

أرأيتم لو أخبرتـكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليـكم صدقتمونى .

ـ نعم ـ ما جربنا عليك كذباً قط ..

ـ فإنى نذير لـكم بين يدى عذاب شديد .

فانبرى من وسط الناس صوت أبى لهب يقول :

ـ تبا لك سائر اليوم . . ألهذا دعوتنا ؟

ونظر رسول الله ﷺ إلى أبى لهب نظرة عفو ومغفرة ــ ولم يرد عليه ..

وهذا ضرب من ضروب الأخلاق الرفيعة فى حياة النبى ﷺ وما أحوجنا أن نتمسك به ، ولقد رد الله على أبى لهب سبه ، وأنزل فيه آيات بينات يستنزل المؤمن بها اللعنات على روح أبى لهب كلما قرأها[1] وستظل هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وتفرق الناس من حول النبى الكريم ، فما لهم ولهذه الدعوة الجديدة التى تأمرهم أن يذروا ما كان يعبد آباؤهم .

ولم يَفُتّ انصراف الناس فى عضد محمد ﷺ ، بل زاده إيمانًا على إيمانه وقوة على قوته ، فهو لا يعرف اليأس ولا القنوط فاليأس أخو الكفر وشقيقه ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

---

(١) سورة المسد .

وقصد محمد ﷺ إلى دار عبد المطلب ، فوجد فيها نفرا من أهله صاح فيهم .. يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبدالمطلب ، يابنى عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلونى من مالى ما شئتم . ثم جلس معهم يدعوهم إلى دينه الجديد حتى إذا انتهى من حديثه قالت صفية ابنة عبدالمطلب .

ـ أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وصفية هذه هى عمة الرسول الأمين

* * *

آمنت صفية ، ثم انطلقت إلى بيتها ، فوجدت فيه ابنها الزبير جالسا مع أبى بكر الصديق ، وأبو بكر يحدثه عن دعوة محمد ﷺ ويدعوه الى الايمان بها

وقالت صفية لأبى بكر أنها أسلمت ، ثم دعت ابنها كذلك إلى الاسلام فاستجاب الزبير لدعوتها ، وقام مع

أبى بكر الى رسول الله وأسلم على يديه ونطق بالشهادتين ..

وكان وقتئذ فتى فى الخامسة عشرة من عمره ، وخامس خمسة أسلموا لله رب العالمين . فى الجزيرة العربية كلها . بل فى الدنيا جميعاً .

* * *

وكان عم[1] الزبير رجلا كافراً شديد الكفر ، غليظ القلب ، ساءه أن يتبع الزبير محمدا ، وأن يؤمن بدعوته فذهب اليه وقال :

ـ بلغنى أنك تبعت دين محمد

ـ نعم

ـ دعك من هذا يا بنى ، وعد إلى دين قومك ، فهو خير وأفضل .

ـ لا

(١) لم تذكر المصادر التى بين أيدينا اسمه .

ـ عد . وإلا عرفت كيف أؤدبك .

ـ لن أعود .. وأفعل ما تشاء ..

على رِسْلك .. سترى . وانطلق الرجل الى بيته وأخذ يفكر فى طريقة يرجع الزبير بها الى دينه ، وفتح عليه الشيطان بفكرة ظن أنها ستبلغه مأربه . فجاء الى الزبير وقيد يده ورجليه بالحبال ولفه فى حصير وعلقه على حائط ، وأوقد تحته نارا واندلعت السنة الدُخَان الى الزبير ونفذت الى عينيه ، فسالت منها الدموع واحترقت أنفه فأحس الزبير ضيقاً شديداً وخيل اليه أنه يكاد يختنق . ولكنه جالد وصبر وعول على أن يتحمل كل عذاب وأن يصبر على كل بلاء .

وجاء عمه اليه آخر النهار ، وقد أسود لونه من الدخان ، واحمرت عيناه من أثر الدموع التى نزلت منها . وطلب منه أن يعود الى دين قومه ، ولكن الفتى رد عمه ردا

جميلا وأخبره أنه لن يعود إلى الكفر أبداً ولو قطعه إربا إربا .

وعاد عمه الى تعذيبه مرة ثانية وثالثة ورابعة ولكن الفتى ظل ثابت الايمان راسخ اليقين .

وهنا علم العم المسكين ، ان العذاب لن يحقق له غايته وأن ايمان الزبير بالدين الجديد إيماناً قوياً خالط شغاف قلبه واختلط بروحه ومازج نفسه فلن يخرج الا بخروج النفس ولن يطلع الا مع الروح . فتركه ولم يعذبه بعد ذلك أبداً .

* * *

ومرت بعد ذلك شهور ، والزبير يصحب رسول الله في غدواته وروحاته ينهل من فيضه ويزداد من علمه ويتفقه في دعوته .

وتوثقت عرى الاخوة والمحبة بينه وبين أبي بكر الصديق وكان الصديق يحب الزبير ويعطف عليه ويرعى

فيه سيمى الاخلاص وبوارق الخير وعلائم القوة والشجاعة ..

وذات يوم ـ دخل الزبير على أبى بكر الصديق ثم قال له :

ـ يا أبا بكر . جئتك فى أمر .

ـ خيراً .

ـ جئتك أطلب منك يد ابنتك أسماء لنفسى .

وسكت أبو بكر ... وأطرق برأسه إلى الأرض . وراح يفكر . إن الزبير شاب منسّب . فهو من قبيلة رسول الله ومن قومه وأمه صفيه عمة الرسول ... و ... ولكن ما له ولهذا كله .. حسبه أنه شاب مؤمن .. والايمان وحده يفضل على كل حسب وكل نسب ، ويعلو على كل جاه وسلطان . إنه مؤمن وكفى ولن يهم أنه فقير معدم ففى الايمان الغناء كل الغناء عن جاه الدنيا وزخرفها وبهرجها ..

حقاً إن الزبير فقير . وأبا بكر غنى . ولكن ما كان الفقر يوما عيباً يوصف به الرجال . ولكن سنة من سنن الحياة . وناموس من نواميس الدهر هكذا شاء الله رب الناس أن يكون خلقه متفاوتين فى الفقر والغنى وفى هذا إصلاح الأمة و بقاؤها « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم »

ونظر أبو بكر إلى الزبير وقال :

ـ لا مانع يا أبا بكر . على بركة الله . .

... ونبىء الزبير باسماء بنت أبى بكر ، وحملها إلى بيته فرحا مسروراً . انهـــا فتاة جميلة الخلق وانها لبنت الصديق أول الملبين لدعوة الله من الرجال وأول المضحين فى سبيلها بكل مرتخص وغال ونزلت أسما من الزبير مكاناً علياً . فقد كان يحبها . وكانت كذلك تبادله حباً بحب واخلاصاً باخلاص .

... وكانت أسماء فى منزل أبيها تعيش عيشة هادئة ناعمة فقد كان خدم أبيها يكفون البيت كل ما يحتاج اليه من

أعمال ولكنها حين انتقلت إلى منزل زوجها الجديد الذى لم يكن له ما لأبيها من خدم وحشم اضطرت أن تقوم مقام الخدم والحشم فكانت تعلف فرس زوجها . وتدق له النوى، وتستقى الماء وتملأ الدلو للعجين وظلت هكذا حتى شحب لونها وضعف جسمها فشكت إلى أبيها كثرة الأعمال فارسل اليها جارية من جواريه كفتها الكثير من أعمال البيت . فكانت كما تقول أسماء كأنما أعتقها أبوها ..

***

وظلت دعوة الرسول الكريم تتسع فى مكه بطيئا بطيئا وكلما دخل فى الاسلام رجل هب زعماء قريش يهددونه ويخوفونه وظلت الحال على هذا المنوال حتى شكى كثير من الصحابة إلى رسول الله ما هم فيه من الضر والاساءه فأمرهم رسول الله أن يهاجروا إلى الحبشة. وهاجر الزبير مع من هاجر . ومكث بها ما شاء الله أن يمكث . ثم

خيل اليه أن العذاب قد خف . فرجع إلى مكة . ومكث بها شهور قليلة . ثم هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية .

وجلس الزبير ذات يوم وهو بالحبشة يفكر فى رسول الله ﷺ . وإذا به يقول لنفسه : أيعيش هو هنا سليما معافى ورسول الله ﷺ فى مكة يؤذيه أكابر قريش وسادتها . ويكيلون له من الضر ما يكيلون .. لا .. إن هذا لهو عين الجبن فليرجع إلى مكة . وليكن بجانب رسول الله حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

ورجع الزبير إلى مكة . وصحب رسول الله . ولازمه ملازمه الظل للانسان . مدافعاً عنه ذائداً عن حماه .

وذات يوم بينما كان جالساً مع أسماء يتناول طعام العشاء خيل اليه أنه سمع صوتاً ينادى .

ـ قتل رسول الله

فهب الزبير قائماً. وأمسك بسيفه وانطلق إلى الطريق عريانا ما عليه إلا شىء يستر عورته . وأخذ يجوس بين

دور مكة ليتأكد مما سمع .. وكانت مصادفه عجيبه أن قابله رسول الله فى الطريق وهو على حاله تلك . فنظر اليه متعجباً من هيئته وقال له :

ـ مالك يا زبير ؟

ـ مالى .. !! . سمعت أنك قتلت

فظر اليه المصطفى ﷺ وقال ممتحناً إياه :

ـ فما كنت صانعاً ؟.

ـ أردت والله أن استعرض أهل مكة وأجرى دماءهم كالأنهر لا أترك أحداً منهم إلا قتلته حتى أقتلهم عن آخرهم ..

فضحك رسول الله . ودعا له بخير ودعا لسيفه كذلك واعتماداً على هذه القصه . يقول رواة السير والتاريخ جميعاً : « إن الزبير كان أول من سل سيفه فى سبيل الله عز وجل » وهكذا تبدو آيات البطولة والفداء أول ما تبدو على الزبير بن العوام المؤمن المتعطش للحرب

والقتال الظامىء إلى منازلة الكفار والمشركين إعلاء لكلمه الله فى أرض الله .

. . ولكن مهلا يا زبير لا تتعجل للجهاد هكذا . . فأيام الجهاد مقبلة وزمن الحرب آت ، وسنرى فيها كيف تمسك بالسيف فتحصد به رؤوس الكفر حصداً ليرتفع رأس الايمان وحده فى الدنيا جميعاً .

***

وجاء رجال من أهل يثرب فآمنوا وصدقوا . ثم أمر رسول الله أصحابه بالهجرة إلى المدينة . وجاء الزبير إلى زوجه أسماء فأخبرها بعزمه على الهجرة ثم ودعها .

.. وانطلت أسماء إلى بيت أبيها .

وانطلق الزبير إلى يثرب. يستطلع الغيب المجهول ويسأل رمال الصحراء ويستفسر حصاها عما يخبئه القدر لدعوة محمد بن عبدالله .

ولو رفع عنه الحجاب لسمع رمال الصحراء ، ولسمع حصاها ، ولسمع الدنيا كلها تقول له :

تقدم يا زبير ، متفائلا مستبشراً ، إن دعوة الله ستعلو وتنتشر حتى تعم الخافقين وتبلغ المشرقين .

البطل

انتقل الرسول إلى المدينة ، ثم استتب بها أياماً ، وأرسل الصحابة المهاجرون إلى زوجاتهم بمكة يأمرونهن بالهجرة إلى المدينة وهاجرت أسماء مع المهاجرات وقابلها الزبير فرحا مسروراً بعد غياب امتد أشهراً طويلة .

وذات يوم - انتشر خبر فى المدينة فحواه أن اليهود سحروا المسلمين فلن يولد لهم بعد اليوم ولد ، وأحدث الخبر فزعا للمسلمين وخصوصاً أن الأيام تمر والشهور تتوالى والمدينة لا تسمع صراخ طفل مسلم .

وراح الرجال يتعجبون ، وأخذت النساء يستفسرن ، أحقاً سحرهم اليهود فلن يولد لهم ولد ، وكان المسلمون بين المصدقين والمكذبين ولكن ما بال المسلمين ، أليس فيهم من تلد له زوجه غلاماً يكون الحجة القوية على

كذب اليهود وزعمهم .

و بينما رسول الله ﷺ جالس مع أصحابه ذات يوم ـ إذ أقبل عليه رجل من بعيد ـ حتى إذا دنا منه صاح بصوت مرتفع .

ـ يا رسول الله ـ رزق الله الزبير بن العوام وأسماء بنت أبى بكر مولودا .

وأنبسطت أسارير الرسول ، وهش وجهه وفرح أصحابه الذين سمعوا البشرى ، وما هى الا ساعات حتى كانت المدينة كلها قد سمعت بالنبأ المفرح الذى رد الله به على اليهود الكاذبين .

وأقبلت اسماء تحمل ولدها فرحة جذلة ـ باسمة ضاحكة ـ فلما وصلت الى النبى ﷺ وضعته فى حجره فبش له النبي الكريم ثم دعا بتمرة فمضغها ثم حنكه بها ودعا له بالبركة وسماه عبدالله ..

... فكان عبدالله بن الزبير المولود الأول للمسلمين

* * *

ومرت الأيام ـ والتقت قريش مع اصحاب النبي ﷺ في غزوة بدر ـ ولف الزبير بن العوام يومها على رأسه عمامة صفراء ، وانطلق الى وسط المعركة فرحا يهد الكافرين بسيفه ـ فكثيراً ما تمنى الجهاد واشتاق إلى أيامه ، فها هو ذا يوم المنى فما عليه إلا أن يشبع رغبته في القتال والنزال .

وكانت غزوة بدر المعركة الأولى التي يلتقي فيها الاسلام بالكفر ، وقد خاف النبي ﷺ يومها أن يهزم فرفع رأسه إلى ربه يدعوه ويناجيه ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد في الأرض أبداً ، واستجاب الله دعاءه وأنزل عليه آية النصر والتأييد .

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »

وتدفقت ملائكة النصر من السماء عليها عمائم صفراء كعمامة الزبير ، فقاتلت المسلمين وشدت أزرهم .

ولقى الزبير يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص ،وكان يدعى أبا ذات الكرش ، وهو رجل مشهور بشدته وبطولته ، وكانت قريش تضعه فى الصف الاول من صفوفها لبطولته النادرة وفروسيته الفذة .

وتقابل الرجلان ، ورأى الزبير أبا ذات الكرش مدججا بالأدرع والأسلحة من قمة رأسه إلى اخمص قدميه ، لا ترى منه إلا عيناه فقط ، فاحتار الزبير وتساءل ، كيف يقتل هذا الرجل المدرع ، وأخذ الزبير يفكر حتى هداه الله إلى أمر عجيب .

دار الزبير حول أبى ذات الكرش ، وكان مع الزبير يومها عَنَزَة ، والعنزة رمح قصير ، كان قد أتى بها من الحبشـة حين كان مهاجرا اليها ، وما هى الا جولة أو جولتان حتى رفع الزبير عنزته وطعن أبا ذات الـكرش بها فى عينه واخترقت العنزة عين الرجل حتى وصلت إلى مؤخر رأسه .

وصرخ أبو ذات الـكرش ، ثم هـدأ الصراخ رويدا رويدا حتى وقع على الأرض لا حراك به والعنزة فى عينه ـ وانحنى الزبير عليه ووضع رجليه على بطنه ثم امسك بالعنزة ليخلعها من عينه ـ ووجد فى خلعها مشقة وجهدا ولم تخرج إلا بعد أن انثنى طرفها .

واشتدت المعركة وراحت الملائكة تحصد القوم حصدا وتنهال عليهم ضربا وقتلا حتى كان النصر للمسلمين .

وسمع رسول الله بعنزة الزبير وقصتها ـ فطلبها من الزبير فأعطاها له ـ ولما مات رسول ﷺ احتفظ بها

أبو بكر - ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي ، ثم جاء عبدالله بن الزبير الى علي وطلبها منه فأعطاها له فاحتفظ بها حتى مات . ولم يعرف أين ذهبت بعد ذلك .

* * *

وذات يوم أحب رسول الله أن ينام ، وكان الزبير بجانبه وغلب النعاس عيني الرسول فراح في ثبات عميق وكان الذباب يومها كثيراً ، فأخذ الزبير يذب عن وجه النبي ﷺ ويدفع الذباب عنه ولم يزل كذلك حتى استيقظ رسول الله ﷺ من نومه وقال له :

- يا أبا عبدالله - لم تزل ...

- لم أزل بأبي وأمي :

- هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم ..

فسر الزبير وانشرح صدره ثم أخبره رسول الله ﷺ

أنه من العشرة المبشرين بالجنة فازداد الزبير فرحا وسروراً ، وانطلق إلى زوجه أسماء يبشرها .

ومرت أيام ، وجاء النبي ﷺ والزبير معه إلى بنى غنم ، فرأى علي بن أبي طالب على مقربة منه فضحك له وضحك علي ، يحيي رسول الله ورأى الزبير تهلل أسارير علي وانبساط وجهه فأحس شيئاً فى قلبه نحو علي فقال :

ـ لا يدع ابن أبى طالب زهوه .

فنظر إليه رسول الله معاتباً .

ـ إنه ليس به زهو ـ ولتقاتلنه وأنت له ظالم ..

وجفل الزبير من كلمة رسول الله . وتعجب ـ أيأتى عليه يوم يقاتل فيه عليا .

لا ـ ان هذا محال ، ولِمَ يقاتله ، ولكن رسول الله صادق فما ينطق عن الهوى ودارت رأس الزبير متعجباً مستغرباً . كيف يقاتل عليا . إنه أخوه ، وهو يحبه ويتمنى له الخير .

وشغل الزبير بكلمة رسول الله أياماً ، ثم أخذت الـكلمة تنساب شيئاً فشيئاً إلى زاوية النسيان حتى طوتها الأيام مـع ما تطوى كل يوم من حوادث وذكريات .

* * *

وأعدت قريش عدتها ـ واستصحبت معها بعض القبائل وكثيراً من اليهود ـ وتجمعت الأحزاب قاصدة رسول الله بالمدينة لمحاربته والقضاء عليه ـ فخرج رسول الله الى الناس لينتدبهم لملاقاة الأحزاب ـ فكان الزبير بن العوام اول من اجاب دعوة النبي الأكرم ـ فنظر إليه رسول الله يومها ضاحكاً وقال :

ـ لـكل نبي حوارى ـ وحوارى الزبير .

وتجمع الصحابه بعدها ـ واخذوا يحفرون الخنـدق حول المدينة وحفر الزبير معهم حتى سال منه العرق .

وجاءت قريش وحلفاؤها وانصارها ـ ولـكنها فوجئت بالخندق الذى ضربه المسلمون حول المدينة ـ فلم يستطيعوا أن يتخطوه فانتظروا أياما ـ ثم أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية ، أطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وقلعت خيمهم فارتحلوا وتفرقوا وكفى الله المؤمنين القتال .

وتقول كتب السير والتاريخ أن الزبير بن العوام شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها لم يتخلف عن واحدة منها ولم يتقاعس يوماً عن الخروج للجهاد فى سبيل الله ـ وحسبنا هذه الشهادة من كتاب السير ـ لنعلم أن الزبير كان مجاهداً من الطراز الأول ومقاتلا من خيرة المقاتلين من أصحاب رسول الله ولقد حدثوا أن رجلا صحب الزبير يوما فى بعض اسفاره ـ وصادف أن أصابت الزبير جنابة ذات ليلة ـ فلما اصبح الصباح قال لصاحبه ـ وكان بأرض قفر ـ استرنى حتى اغتسل ، فستره الرجل ، وحانت من الرجل التفاتة فرأى جسد الزبير مجدعا

بالسيوف وفيه أمثال العيون من الطعن ، فتعجب الرجل وانتظر حتى انتهى الزبير من غسله وقال له :

ـ والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط .

ـ أوقد رأيتها .

ـ نعم .

ـ أما والله ما فيها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله .. ولعل موقف الزبير يوم اليرموك أصدق دليل على جرأة الزبير وقوته وما كان يمتاز به من قلب جرىء ونفس لا تعرف الخوف أو الوهن ولا ترهب في سبيل الله أحداً .

كان الروم يوم اليرموك أشداء أقوياء ، فاجتمع إلى الزبير يومها جماعة من الأبطال وقالوا له :

ـ ألا تحمل فنحمل معك .

قال نعم . ثم انطلق الزبير كالشهاب والأبطال معه حتى إذا واجهوا صفوف الروم أحجموا ، وملئت قلوبهم

رعباً وفزعا ورأى الزبير إحجام قومه وتخلفهم عنه فتركهم وانطلق وحده بين الصفوف وهو يلعب برمحه وسيفه حتى قتل منهم عدداً كبيراً .

ولما عاد إلى مكانه ،جاءه جماعة من الأبطال وقالوا له :

ـ أحمل فنحمل معك .

فقال لهم : انكم لا تثبتون .

ـ سنثبت إن شاء الله .

وحمل الزبير ، وانطلق كما ينطلق السهم المريش ، حاداً قويا لا يصده صاد ولا يعترضه شيء ، ومن حوله جماعة الابطال ،حتى إذا اتى القوم الروم، أحجم أصحابه فتركهم ، ودخل بين الصفوف ، وهو يحمل خلفه على فرسه ابنه عبدالله ، الذى كان يحمله معه دائما فى غزواته كلها ليشب عارفا بالحرب جريئاً عليها كما كان يتمنى له أبوه [1] .

---

(١) سنفصل تاريخ عبدالله بن الزبير فى كتاب خاص ان شاء الله

وصال الزبير وجال ، وحاور وداور ، وراح يعمل بسيفه فى رقاب الروم غير هيّاب ولا وَجِل ، ولم يخاف ، ومن يهاب وهو يعلم أن نفسه بيد الله وحده ، قدر لها فى أم الكتاب يوما مشهوداً لا تتقدمه ولا تتأخر عنه ، حتى قتل يومها خلقا كثيراً من أبناء الروم .

.. رحم الله الزبير ، لقد كان آية فى الجهاد ، وركناً من أركان الاسلام ، كما وصفه عمر بن الخطاب

يهودي صنعاء

انتقل عمر إلى رحمة الله، و بويع لعثمان من بعده بالخلافة فساء ذلك محمد بن أبي بكر الصديق ، فقد كان يود أن يكون علي بن أبي طالب هو الخليفة ـ فقد كان يحبه ـ ولم لا ـ ولعلي الفضل الأكبر في تربيته وتأديبه وهو صغير ..

وشاءت الظروف التي تسير بقدر محتوم أن يرتكب محمد ذنباً يستحق عليه الجلد فجلده عثمان ـ وكانت العادة أن يدهن مكان الضرب ـ ولكن عثمان ضربه دون أن يدهن جروحه ـ فزاد ذلك محمد بن أبي بكر حنقاً على عثمان و بغضاً له .

وأسلم في تلك الآونة ـ ابن السوداء ـ عبدالله بن سبأ

اليهودى المجرم - ولم يك اسلامه حباً فى الاسـلام او رغبة فيه ، وانما كان اسلامه تمهيداً لفتنة كبرى ، سنرى بعد قليل كيف اندلعت السنتها وتأججت نيرانها وتحكمت فى حقبة من حقب التاريخ الاسلامى ولعبت دوراً هاما فيه كان له أثر وأى أثر فى تاريخ الاسلام .

و بدأ ابن السوداء فى بذر بذور الفتنة من أول يوم فذهب إلى الحجاز ، ووسوس للناس كما يوسوس الشيطان يحاول أن يؤلبهم على أميرهم عثمان بن عفان ولكنه وجد نفوساً كريمة لا تحب أن تستمع له - فتركها - وانطلق إلى البصرة فنفث فيها من سمومه - ثم ذهب إلى الكوفه وانطلق بعدها إلى الشام - وهكذا دواليك،وهو لا ينزل منزلا ولا يهبط بلداً إلا ويختلق للناس الأكاذيب والمفتريات يؤلب الناس بها على أميرهم عثمان .

واستقر النوى بابن السوداء فى مصر ، وأخذ يبـذر فيها بذور الفتنه فى كل وقت، وفى كل مكان ، وكان لعنه الله رجلا قوى الحجة شديد المكر والدهاء ، ذكياً ألمعياً

فكان يجلس إلى الناس يحدثهم عن القرآن ويفسر لهم آياته تفسيراً خاطئاً يتفق مع دعوته ويتواكب مع ما يدعو إليه . . جلس يوماً إلى طائفة من الناس فقال لهم .

ـ إنى لأعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ـ ويكذب أن محمداً لا يرجع ـ وقد قال الله عز وجل ـ إن الذى فرض عليك القرآن لرادُّك الى معاد ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى .

.. وظل بن سبأ هكذا ، لا يجلس مع قوم مجلسا إلا أفاض عليهم من كذبه وافترائه محاولا بذلك أن يفرق بين المسلمين ويجعلهم شيعا وأحزاباً والتقى بن سبأ بمحمد بن أبى بكر بمصر ـ وكان يعلم بغض محمد لعثمان وميله الى علي ، فانتهز الفرصة ، ووسوس الى محمد بالدعوة لعلي بالخلافه ، وقال له :

لقد كان الف نبى ولكل نبى وصى وكان علي وصى محمد ﷺ ، ومحمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء .

وما زال بن سبأ بمحمد بن أبى بكر حتى أشركه معه فى دعوته وتعاهدا على العمل لعزل عثمان وتولية علي مكانه .

وهكذا وقع محمد بن أبى بكر فى الفخ ، الذى نصبه اليهودى الخبيث .

وهكذا يثبت اليهود فى كل زمان ومكان أنهم أس الفتنة و البلاء ، ورسل الشر والخراب أينما حلوا وحيثما ارتحلوا .

وكأنما اتفقت الأيام مع ابن السوداء فى التمهيد لدعوته الخبيثة ، فقد كان عمرو بن العاص أميراً على مصر فى تلك الأونة ، ولكن عثمان عزله واستعمل مكانه عبدالله بن سعد بن أبى السرح ، فأغضب ذلك عمرو أشد الغضب وحقد على عثمان ، وطلق أخته التى كان متزوجاً بها ، ثم انطلق الى المدينة عازما على أن يأتى علياً والزبير وطلحة فيؤلبهم على عثمان كذلك

وكان محمد بن أبى حُـذيفة يتيما فى حجر عثمان ، فلما شب وترعرع ، طمع أن يوليه عثمان عملا من أعماله ، ولـكن عثمان لم يستعمله ، ففارق محمد بن أبى حذيفة عثمان ورحل الى مصر وانضم الى بن سبأ وجماعته .

وكان عثمان رضى الله عنه رجلا يحب أهله وقومه ، ويثق فيهم ، ويطمئن الى اخلاصهم ، ويعتقد فى طهارة قلوبهم ويرى أن نفوسهم لا يمكن أن تحدثهم بالخروج عليه أو التأليب ضده لاثارة القلق والفتن ، فكان لذلك ، رضى الله عنه ، يستخدم أهله وقومه فى شتى الأعمال ولـكن خطته تلك ، وطريقته هذه ، لم تعجب عائشة رضى الله عنها ، فكانت ترى خلعه ، ومن ثمَّ ، أخذت تحرض الناس عليه ، وتوصى أهل الفصاحة والبيان أن يؤلبوا الناس عايه .

وهكذا أحاط وفود الفتنة بعثمان من كل جانب ،

ولم يبق إلا أن يقذف عليه عود من الكبريت أوشرارة من نار لتندلع ألسنتها الى السماء ..

* * *

واستمر بن سبأ يبث دعوته فى مصر ، ويظهر للناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليستميل الناس إليه ، ثم أخذ يراسل كثيراً من الناس بالأمصار والأقطار التى تحيط به ، حتى استطاع أن يضم اليه كثيراً من الناس كوّن منهم جيشاً قوياً ، وانتظر بن سبأ حتى يحين الحين ليقذف بالشرارة الى الوقود .

وشاءت الأقدار العجيبة أن يكون عامل عثمان على مصر ، عبدالله بن أبى السرح هو أول من يقذف بشرارة الفتنة ، وتفصيل ذلك ، أن جماعة من الناس دخلوا على عبدالله فى مسألة من المسائل ، فردهم رداً غير جميل وأمر بضربهم ، وخرج الناس من عنده وكلهم

غيظ وحقد ، وانتهز بن أبي سبأ الفرصة ، فجمع شمل المصريين وأمرهم أن يسيروا الى أمير المؤمنين بالمدينة ، وأن يقولوا للناس إذا سألوهم عن مقصدهم أنهم سائرون للعمرة .

وخرج الناس الى المدينة وأرسل عبدالله بن أبي السرح رسولا الى عثمان يخبره بخبر القوم .

ووصل القوم المدينة ودخل نفر من الصحابة على عثمان وقالوا له ، إن وفداً من مصر يطلب عزل عبدالله ابن أبي السرح ، فأرسل عثمان إلى المصريين وقال لهم ، اختاروا رجلا مكانه فاختاروا محمد بن أبي بكر ، فكتب عثمان عهده وولاه ، وأمرهم أن يعودوا إلى مصر مشكورين مأجورين وعادالقوم أدراجهم وساروا ثلاثة أيام ، ثم شاهدوا غلاما أسود مقبلا على بعير فانتظروه ظانين أنه يقصدهم ، ولكن الغلام مر عليهم ولم يقف

وانطلق مسرعا فى طريقه ، فارتاب القوم ، وأسرعوا خلفه وأدركوه ثم سألوه :

ـ من أنت ؟ وإلى أين كنت ذاهبا ..؟

ـ أنا غلام أمير المؤمنين ، وجهنى إلى عامله فى مصر

فقالوا له مشيرين إلى محمد بن أبى بكر :

ـ هذا عامل مصر .

ـ ليس هذا أريد

ـ وبما أرسلك أمير المؤمنين .

ـ برسالة

ـ وأين هى ؟

ـ ليست معى !

ـ فتشوه . . .

وأحاط القوم بالغلام ، ثم فتشوه حتى وجدوا الرسالة وأخذها محمد بن أبى بكر وقرأها على أصحابه ، فاذا عثمان

يأمر فيها عبدالله بن السرح أن يقتل محمد بن أبى بكر وأصحابه إذا رجعوا اليه . .

وثار محمد ابن أبى بكر وأصحابه ورجعوا إلى المدينة وهم مصممون على قتل عثمان ، وقابل وفد منهم عثمان وقصوا عليه قصة الرسالة . فقال عثمان :

ـ والله ما كتبت ولا أمرت ولا شُورِت ولا علمت

ـ ولكن الكتاب كتابك

ـ أجل ولكنه كتب بغير أمرى

ـ فان الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك

ـ أجل ولكنه بغير إذنى .

ـ فالجمل الذى كان يركبه جملك

ـ أجل ولكنه أخذ بغير علمى .

ـ ما أنت الا صادق أو كاذب، فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حق،

وإن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك ، لأنه لا ينبغى لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فان ذلك أسلم لنا منك وأسلم لك منا .

وانصرف القوم بعد أن آذنوه بالحرب ، ثم حاصروا الباب، فأرسل الزبير ولده عبدالله ليكون مع أمير المؤمنين ولـكن القوم دخلوا على عثمان فقتلوه، وسمع الزبير بمقتله فأسرع إلى ابنه فلطمه وضربه وقال له :

ـ أين كنت حين قتل أمير المؤمنين ؟

ـ كنت معه استمع اليه وهو يقرأ سورة طه ، وقـد أمرنى أن آتى أهل الدار فآمرهم بالانصراف ، فلمـا خرجت من عنده ، وكنت آخر من معه ، سمعت انه قتـل . . .

وكانت عائشة بمكة حين قتل عثمان، فلما جاءها الخبر واتفاق الناس على علي بن أبى طالب خليفة بعده ، غاظها ذلك وقالت، قتل والله عثمان مظلوما ، والله لأطلبن بدمه ، ثم نادت الزبير ابن العوام وطلحة بن عبيدالله الفياض ومحمد بن أبى بكر واتفقوا على أن يخرجوا للمطالبة بدم عثمان .

وخرجت عائشة ذات يوم راكبة على جمل ، ومن حولها أصحابها ، ونادى المنادى :

ـ إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الاسلام وقتال المحلين بثأر عثمان وليس له مركب أو جهاز فليأت فهذا جهاز وهذه نفقة .

وبعد أيام ، انطلق القوم وكانوا يقربون من ثلاثة آلاف إلى البصرة ، وعلم عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين علي بقدوم القوم ، فاحتار ، ولم يدر ما يفعل أيقاتل القوم . !! وفيهم أم المؤمنين وحوارى الرسول

فقد لا يرضى ذلك أمير المؤمنين .. أم يتركهم ، وقد يكون فى ذلك ضرر وأذى ..؟

وأخيراً رأى أن يبعث إلى عائشة بعض رجاله ليستقوا له الخبر ، فبعث اليها عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى فلما دخلا عليها قالا :

ـ ان أميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك ..؟

ـ والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم ، ان الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله وأحدثوا فيه الأحداث واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل عثمان امام المؤمنين بلا غدر فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وما ينبغى لهم أن يأتوا فى اصلاح هذا ، ثم تلت قول الله تعالى « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف يؤتيه أجراً عظيما » .

وخرج الرجلان من عندها، ثم ذهبا إلى الزبير فقال له حصين :

ـ ما أقدمك ؟

ـ الطلب بدم عثمان رضى الله عنه

ـ ألم تبايع علياً :

ـ نعم ، وما أستقيل علياً ان هو لم يحل بيننا و بين قتلة عثمان .

ورجع الرجلان إلى عثمان بن حنيف ، ودخل عليه أبو الأسود الدؤلى وهو ينشد:

يا بن حنيف قد أتيت فانفر

وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لهم مستلئما وشمر

فأطرق بن حنيف برأسه إلى الأرض وقال :

ـ إنا لله و إنا اليه راجعون ، دارت رحى الاسلام ورب الكعبة .

ثم نادى المنادى ، الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فى المسجد ، فقام خطيب عثمان ودعا الناس إلى الخروج معه لقتال عائشة ومن معها .

وخرجت عائشة ومن معها حتى انتهت الى مكان يسمى المربد ، واجتمع قبالتها جيش عثمان بن حنيف ، فقامت عائشة فخطبت الناس ، وكانت خطيبة مفوهة . ساحرة الالقاء جهورية الصوت وما انتهت من حديثها حتى انقسم أصحاب عثمان قسمين ، فرقة ظلت معه وفرقة انضمت الى عائشة .

وأرسل طلحة والزبير الى عثمان بن حنيف أن يخرج اليهما فأبى ، فاجتمع اصحاب عائشة فى المسجد الكبير ، فصلوا العشاء ، ثم قابلوا جماعة من أصحاب عثمان فقتلوهم ثم دخل جماعة منهم على عثمان بن حنيف فى بيته

فأخرجوه الى طلحة والزبير . ولم يترك القوم يومها فى وجهه شعرة الا نتفوها[1] .

وسمع رجل اسمه حكيم بن جبله بما صنع بعثمان ، فأثر ذلك فيه ، وجاء الى جماعة من الناس وقال لهم :

. . لست أخاف والله ان لم أنصر عثمان ، وقام معه جماعة من عبد قيس وربيعة ثم توجهوا الى دار الرزق ، وكان بها طعام أصحاب عائشة فقابله عبدالله بن الزبير وقال له :

ـ مالك يا حكيم ـ ؟

ـ نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، وأن تخلو عثمان فيقيم فى دار الامارة حتى يقدم علي ـ وأيم الله لو أجد أعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن

(۱) الكامل لابن الأثير جزء ٣ ـ صفحة ١١١ ـ

قتلتم .. بما تستحلون الدم الحرام ؟

ـ بدم عثمان .

ـ فالذين قتلتم هم قتلة عثمان .

ـ لا نرزقكم من هـذا الطعام . ولا نخلى سبيله عثمان حتى تخلع علياً .

ـ اللهم إنك حكم عدل فاشهد .

ثم إلتفت حكيم الى أصحابه وقال :

ـ لست فى شك من قتال هؤلاء القوم ، فمن كان فى شك فلينصرف .

* * *

وإلتقى الجيشان ، وراحت الدماء تسيل على الأرض والرؤوس تطيح من فوق الأكتاف ، ودار حول الزبير يومها رجل من اصحاب حكيم يسمونه ذريح فصاوله وجاوله ، ولكن الزبير قضى عليه أخيراً ،

أما حكيم فقد إلتف حول طلحة وأخـذ يداوره ويحاوره وهو يقول :

أضربهـم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة آيس في الغرفات نافس

وأقبل رجل على حكيم فضرب رجله فقطعها ، فلم يجزع حكيم ، بل تناول رجله والدم يسيل منها ، ثم قذف الرجل بها وقفز عليه قفزة فقتله وهو يناجى رجله المقطوعة . .

يا ساق لن تراعى إن معى ذراعى
أحمى بها كراعى

وظل القتال دائراً بين الفريقين مدة ، ثم انتهى ، وبايع أهل البصرة طلحة والزبير وقال الزبير يومها لهم :

ـ إن هذه للفتنة التى كنا نحدث عنها ، ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمى فيه غير هذا الأمر ، فانى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر .

ومرت أيام ، ووصلت أخبار عائشة وأصحابها الى علي بن أبي طالب . فنادى القعقاع بن عمرو وقال له :

ـ إذهب الى البصرة والقَ هذين الرجلين ، طلحة والزبير فادعهما الى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفُرقة .

وانطلق القعقاع الى البصرة ، فدخل أول ما دخل عائشة فقال لها :

ـ أي أمه ، ما أشخصك ، وما أقدمك هذه البلدة .

ـ أي بني ، إصلاح ما بين الناس .

فابعثي الى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما .

ـ فلما حضرا قال لهما :

إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وما أقدمها هذه البلاد فقالت اصلاح ما بين الناس ، فما تقولان أنتما ، امتابعان أم مخالفان . . ؟

ـ متابعان .

ـ فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح، فوالله لئن عرفناه لنصلحن وإن أنكرناه لا نصلح .

ـ قتلة عثمان رضي الله عنه ، فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن وإن عمل به كان حياة للقرآن .

ـ قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، فقتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فهذا أمر عظيم مما أراكم تكرهون

فقالت عائشة : فتقول أنت ماذا ؟

ـ أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم ، فما تقولون؟

ـ نعم ، قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

ورجع القعقاع إلى علي مسروراً ، فقص عليه كل ما حدث فسر علي وأصبح الناس يتحدثون ان الصلح قد أصبح قريباً . . ولكن لا . . كيف يتفق المسلمون

هكذا سريعاً ، وكيف تقف رحى الحرب بينهم ، لا ..
ان هذا لن يكون .

وهنا برز ابن سبأ ، يهودى صنعاء ، الذى كان أول من أشعل نار الفتنة بين المسلمين ليلعب دوراً هاماً خطيراً مرة أخرى ليعود المسلمون إلى الحرب والقتال .

برز ابن سبأ من مكمنه ، كما تبرز الحية الرقطاء لفريستها ليؤدى رسالته التى وهب نفسه لها . . رسالة الحرب والخراب .

الجمـــل

برز ابن سبأ من مكمنه ، وسمع أن علي بن أبى طالب يخطب قومه و يقول لهم إنه ذاهب غداً إلى جيش عائشة فجمع بعض الذين اشتركوا فى قتل عثمان ، وجلسوا فى داره ثم دار بينهم الحديث الآتى :

ابن سبأ ـ ما الرأى، وقدأوشك المسلمون على الصلح

أحدهم ـ رأى الناس فينا واحـــد ، أن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا ، فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان فتعود فتنة .

ابن سبأ ـ بئس الرأى رأيت ، أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا وسكت قليلا ثم قال :

إن عزكم فى خلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا ما التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر . و يشغل

الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون..
وكان رأى بن سبأ رأيا وجيهاً معقولا ، اتفق القوم عليه ثم قاموا من مجلسهم لينفذوا ماعقدوا العزم عليه.

وسار علي وجيشه حتى نزل بحيال جيش عائشة ، ونزلت القبائل إلى بعضها ، مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن وأخذت تباشير الصلح تبدو فى الأفق ، واستبشر الناس وأخذوا يسألون الله أن يصلح ذات بينهم.

وأقبل الليل ، فهجع الناس ، حتى إذا كان الليل ان ينتصف قام اصحاب ابن سبأ لينفذوا ما اتفقوا عليه ، وانسلوا من معسكرهم إلى المعسكر الآخر ، ثم هجموا على النائمين يقتلونهم ويعملون بالسيوف فى رقابهم ، ففزع الناس وقاموا من نومهم خائفين مضطربين ، واستيقظ علي على الضجة التى حدثت فسأل ما الخبر فقال له رجل من اصحاب بن سبأ ، كان قد نام قريباً منه خصيصاً .

ـ ما فجئنا إلا وأصحـاب عائشة يقطعون رقابنا! ونحن نائمون . فصاح علي ، أيها الناس ، كفوا .

ولـكن ظل أصحاب بن سبأ يقتلون الناس والناس يقتل بعضهم بعضاً وعلي يصيح ، أيها الناس كفوا ..

واسرع رجل إلى عائشة فقال لها .

ـ ادركى ، فقد أبى القوم إلا القتال ، لعل الله يصلح بك فقامت عائشة تستعد للخروج .

ونادى الزبير ابنه عبدالله وقال له .

ـ يابنى ، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإنى لا أرانى إلا سأقتل اليوم مظلوماً ، وإن من أكبر همى لدَيْـنى ، أفترى دَيننا يُبقى من مالنا شيئـاً ، يابنى بع مالنا واقض دينى فإن فضل من مالنا من بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك ، يابنى إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاى

ـ يا أبه ، ومن مولاك

ـ الله . . .

* * *

واستعد القوم للقتال ، وما هى إلا لحظات حتى اشتبك الجيشان وإلتقى الجمعان ، وتلاقت السيوف بالسيوف وبينما كان القتال دائراً نادى علي ابنه الحسن وقال له .

ـ يا بنى ، إنا لله يا حسن ، أى خير يرجى بعد هذا، ليت أباك مات قبل هذا بعشرين عاماً ، ثم نادى علي فى القوم وقال ـ ادعو طلحة والزبير فأنا علي

وبعد دقائق ، جاءه طلحة والزبير فقال لهما

ـ إنى أراكما قد جمعتما خيلا ورجالا وعددا ، فهل أعددتما عذرا يوم القيامة ، اتقيا الله ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا

فقال طلحة ـ ألبت على عثمان

فقال علي ـ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ثم نظر إلى الزبير وقال

ـ يا زبير ، نشدتك الله ، أتذكر يوم مرّ بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا فقال لك ، يا زبير ألا تحب علياً فقلت ، ألا أحب ابن خالتي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير ، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم.

فقال الزبير ، بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك .

ورجع الزبير على دابته يشق الصفوف فقابله ابنه عبدالله فسأله :

ـ ما لك . ؟

ـ ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول ﷺ يقول لتقاتلنه وأنت له ظالم

ـ أو للقتال جئت يا أبت ، إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر

ـ لقد حلفت يا ولدى ألا أقاتله

ـ انك جمعت النـاس ، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم .. كفّر عن يمينك واعتق غلامك شركس

وراح الزبير يفكر فى امره ، ايكفر عن يمينه ويقاتل علياً ، أم يرجع عن القتال ، ورفع الزبير رأسه فرأى عمار ابن ياسر يقاتل مع علي ، فعاد بذاكرته إلى الوراء ، وذكر حديث النبى ﷺ لعمار . تقتلك الفئة الباغية ، فخشى الزبير أن يقتل عمار ، فيكون باغياً ، وأخيراً ركب الزبير دابته وانطلق صوب المدينة معتزلا القتال ، ومر الزبير وهو فى طريقه بقوم الأحنف بن قيس ، وكان قد اعتزل القتال فلما رأى الزبير قال ما بال هذا ، جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كرَّ راجعاً إلى بيته ، مَن رجل يكشف لنا خبره ، فقال له رجل يسمى عمرو بن جرموز . . . أنا .

وقام عمرو وسار خلف الزبير حتى أدركه بواد السباع فوجده نائما فهجم عليه فقتله ، ثم احتز رأسه وحملها معه قاصداً إلى علي وهو يظن أن عمله هذا سيقربه منه .

واستأذن بن جرموز للدخول على علي ، فقال علي :

ـ لا تأذنوا له ، وبشروه بالنار ، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول ، بشر قاتل ابن صفية بالنار .

وبعث بن جرموز بسيفه إلى علي ، فلما رآه قال :

ـ إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ .

فلما سمع بن جرموز ذلك قتل نفسه .

* * *

قتل الزبير بن العوام ، بعد حياة طويلة مليئة بالجهاد

والنضال فى سبيل الاسلام ودعوة الاسلام ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ وكان عمره يومئذ بين السادسة والستين والسابعة والستين على أصح الأقوال .



